

لقاء مع

عالم اللسانية أندريه مارتيرونيه

أبواه: د. نادر سراج

ن. س - بروفسور مارتيرونيه، هل تستطيع ان تعطينا، بادئ ذي بدء، تحديداً لعلم الالسنية:

أ. م - الالسنية هي دراسة اللغة الانسانية⁽²⁾. ولما كانت اللغة الانسانية تمثل بالأسن⁽³⁾، فالالسنية هي اذن دراسة الاسن. بالنسبة الي، فإني اهتم بشكل اساسي بالالسنية الوظيفية⁽⁴⁾.

ن. س - ما هي مكانة الالسنية الوظيفية بالنسبة للنظريات اللغوية المعاصرة؟

أ. م - تسعى الالسنية الوظيفية لان تتحدد كدراسة للالسن، متعارضة في هذا التحديد مع تيارات الالسنية اخرى معاصرة تشدد اكثر على كون الالسنية دراسة لللغة، وواحد اقول ايضاً للسان. فنحن لا نستطيع ان نقل على اللغة الانسانية الا على شكل اسن خاصة. وعما اعني واعني، فانا اعتقد انه قبل حاولتنا فهم التراكيب (الأنظمة)، علينا دراسة الظواهر الاذراكيه اولاً، اي الظواهر التي تتعلق بالسن خاصة. من هنا، فإن ما يميز الالسنية الوظيفية في العمق عن غيرها من النظريات الالسنية، هو ادراك الوظيفيين هذه الامكانية الوحيدة للتفاذا الى اللغة الانسانية بواسطة الاسن.

ان الالسنية الوظيفية هي الالسنية عهد الى ان تكون واقعية، انها الالسنية العرف، الامر الذي يعطيها لدى بعض الاشخاص نوعاً من عدم الرضا. فالناس مبالغون جداً للمقولات العامة. اهتم بعتقدون بوجوب مقاربة المشاكل في اطار عام جداً، اي اطار فلسفى ابستمولوجى. وبالتالي فإذا اكثنا لهم انه يتوجب عليهم، وتقبل كل شيء، التبصر في التنوع اللغوي الحالى، عندها لا بد ان تبرز خلافات اساسية كثيرة بينهم. اظن انه علينا الانطلاق من الحقيقة المرئية، كي نرتفع بعد ذلك الى الاعتبارات الفلسفية الابستمولوجية.

ن. س - ما هو برأيك دور الالسني في المجتمع المعاصر؟

أ. م - الالسني هو الشخص الذي يستطيع ان يساعد في نطاق جد عادي على تحسين تعلم لسان اجنبي ما، او وظيفة اللسان بشكل خاص، او الالسن بشكل عام. فعل صميد واقعي دقيق، على الالسني ان يفهم كثيراً في هذا المدخل بعض النظر عما يمكن استخلاصه من فوائد من الدراسات الالسنية في الميدان الفلسفى الابستمولوجى عامه. ان الالسنية هي اولى العلوم الانسانية التي تخلصت من الضغوطات التي كانت موجودة حتى الان في هذا المدخل.

لقد اعتبرنا، ولدة طويلة، ان العلوم الانسانية لم تكن «علوماً» بحصر المعنى، بل انها ارتبطت دائمًا بما هو تقريري وذاتي. ومع ظهور علم «وظائف الاصوات»⁽⁵⁾ (الفنونلوجيا)، اثبتت الالسنية ان الاسن تأسى على حقوق مفصلة، فالفنونيات التي تشكل وحدات مفصلة بذاتها⁽⁶⁾ تؤكد الحقيقة المفصلة للمرئيات⁽⁷⁾ من حيث استخدامها لتكوين دلالات⁽⁸⁾ المؤمنيات.

ونحن نستطيع القول ان هناك هواشم في البنية اللغوية، توفر امكانية للتتطور. ولكن علينا ان نذكرها هنا امراً اساسياً هو ان هذه الموارش

* استاذ الالسنية المقارنة في الجامعة اللبنانية.

لا يمكن أن تقوم إلا بفضل وجود جسم مركزي في كل لسان، ثابت كفاية، مما يوفر للسان قدرة على الاستمرارية في القيام بوظيفته، رغم ما يطرا من متغيرات، وفي الوقت نفسه يوفر سبباً لكي يبقى اللسان وسيلة دائمة للتواصل بين الأشخاص الذين يتكلمون هذا اللسان بالذات.

ن. س - أنت تقول دليلاً أن اللغة تتغير، فهل تستطيع ان تفسر لنا هذا المفهوم؟ ثم الا تعتقد ان كلمة «تطور» افضل من كلمة «تغير»؟

أ. م - اذا كنت استعمل كلمة «تغير»، فذلك بساطة لا لبس الا لأنني أفضل استعمال التعبير الاكثر بساطة والاكثر عادلة. ولكن، من المؤكد اني عندما اقول ان اللغة تتغير فاني اعني انها تتطور، ويظهر ان تعبير «تغير» يتضمن تعديلاً عنيناً ومتاجحةً بيننا تعنى كلمة «تطور»، لكنثرين تغيراً تدريجياً. اذا اردنا ان تكون اكثر دقة علينا ان نضيف ان اللغة تتطور لانها تعمل. من هنا نرى انه يتعين على اللغة ان تخدم كرسالة تواصل بين جماعة لغوية واحدة، وعليها ان تتلام في كل لحظة مع متطلبات هذه الجماعة بالذات، وبالتالي يتعين ان تتطور.

ن. س - في كتاب «تطور الالسن وتتجدد البناء اللغوي»⁽⁹⁾ أثرت مشكلة الصامتين القاف والظاء في اللسان العربي . فهل تطور مفهومك من ذلك؟

أ. م - انا لا اعرف للاسف اللسان العربي، وغالباً ما طرقت الى مسائل فوتولوجية في السن متعددة جداً لا اعرفها مباشرة، ولكن كنت دائماً استفهم من الاشخاص الذين ينتظرون بهذه الالسن قبل ابراد اي رأي حول احدى مسائلها.

اما بالنسبة للعربية، فقد كنت دائماً متأثراً بظاهرة غريبة لا نجدها في اي لسان غيرها، ففي هذا اللسان يمكننا ان نلاحظ ان الصوت /كـ/ ⁽¹⁰⁾ /gـ/ الاصل قد تقدم غرجم حرفه بستة في الحنك كي يصبح (دـجـ) ⁽¹¹⁾ (džـ) او (جـ) ⁽¹²⁾، بينما الصوت /كـ/ /kـ/ لم يتمحرك عموماً. ونشير هنا، الى الاستثناء الوحيد التتمثل بالانقلاظ المصري لهذا الفوبيم، ففي مصر مثلاً، تلفظ كلمة جمال (gamal) بالحليم المصرية /gـ/ بينما يتم لفظ الكلمة نفسها في لبنان بواسطة الجيم /zـ/ (zamal) فكيف نستطيع ان نفسر هذا التطور الحالص الذي طرق بعض اصوات اللسان العربي والذى جعل صوت /كـ/ ، /gـ/ القديم يتحول الى /دـجـ/ /džـ/ او /جـ/ /zـ/. من هنا يمكننا ان نتساءل عما يسوعن تقديم صوت /كـ/ /gـ/ من المنطقة الحنكية الى المنطقة الظهرية. وبالخواب، بنظرى، ان هذا التطور يجب ان يتعلّق بباب الاصوات المفخمة في العربية.

وكما هو معلوم، فإن العربية تعرف بوجود نوع تلفظي خاص بها يسمى بشكل عام التفخيم. ولكن الآلسرين يفضلون وصفه بالحلقمة⁽¹²⁾ (تقديم غرجم الحرف في الحلق باندفاع كتلة اللسان نحو الخلف)، وهذا الأمر يستدعي بالتأكيد تغييرات على نطق الحرف الصامت المثلث، وهو بمصل بالنسبة لنحو الصوات المجاورة له.

وقد اثرت في احدى دراسات السابقة مشكلة التفخيم في العربية، وخلصت الى انها كانت حصيلة تطور حالة سابقة: ذلك ان عدداً معيناً من الحروف الصواتية المشتركة في اللسان السامي كان نقطها يتميز باعتماد شكل لسان المزمار⁽¹³⁾ مطبيقاً، وقد تطور هذا الشكل الى تضيق للحنجرة، ومن ثم للتجويف الحلقي. وقد سميت هذه الحروف الصواتيات الخنجورية⁽¹⁴⁾. ومن المؤثر أن الحروف الخنجورية تصيب جمهوراً، وقد حدث هذا الأمر تكراراً في العربية دون ان يعمم مطلقاً. ان /كـ/ ⁽¹⁵⁾ /كـ/ القديمة، المفروطة باعتماد شكل لسان المزمار والتي أصبحت فيها بعد المفخمة، مالت الى انحصار الصوت /كـ/ /gـ/؛ من هنا، فإن تغير صوت القاف الى (كـ) (gـ) قد حدث في اشكال العربية الاكثر دينامية والاكثر مركبة، اي الانشكال البدوية. ولكن هذا الصوت الجديد (كـ) (gـ) لم يختلط مع صوت /كـ/ /gـ/ القديم، ولكنه دفعه نحو الامام، ومن هنا الصوت المفخسي⁽¹⁶⁾ الحال.

وانا اعتقد ان تقديم غرجم الكاف الاصلية في الحنك وهو الذي نصادفه في اللهجة العربية المحكية في بغداد، عائد في الواقع الى انه لم يطرأ على هذه المحكيات اي اجهار للحلقات. فالكاف المفخمة قدتها هي التي مالت الى دفع الكاف الى الامام، ومن هنا لفظ الـ /ثـ/ شـ /ـ/ الذي نلفظه في تلك اللهجات.

وادخل في تفاصيل هذه القضايا مبيناً التطور الذي لحق بفونيم معين في اللسان العربي القديم (الفتاريخي) مورداً الأمثلة التالية:

الـ /كـ/ في كلمة كلب /kalbـ/، الـ /كـ/ /gـ/ في كلمة جبل /gabalـ/، والـ /كـ/ /qadiـ/ في كلمة قاضي /ـ/.

ففي مصر تحول الصوت /كـ/ /kـ/ الى صوت المفرزة /ـ/ ؟ /adiـ/ ؟ /adـ/ ؟ اما بالنسبة الى الصوت /كـ/ /gـ/ في كلمة جبل /gabalـ/ فلم يلحظه اي تغير. اما في المغرب، فيلاحظ ان الصوت /كـ/ /kـ/ في لمحات البدو قد تحول الى /كـ'/ /gـ'/ ثم الى صوت /كـ/ /gـ/ ، دافعاً بذلك صوت /كـ/ /gـ/ الى الامام، ومن هنا تحولت الكلمة جبل /gabalـ/ الى دجبل (dzabalـ) او الى جبل (dahabـ)، بالنسبة الى بغداد، يلاحظ ان صوت /كـ/ /kـ/ قد تطور الى كاف /ـ/ دافعاً بذلك الكاف /ـ/ نحو الامام، ومن هنا تحولت الكلمة كلب /Kalbـ/ الى تسلب (tsalbـ).

ومن المعروف، في هذا السياق، ان الصوت $\text{كـ} / \text{كـ}$ ، الذي ثبت كتابته الصوتية على صورة القاف $/ \text{قـ}$ ، يحفظ في كثير من المحكمات العربية الخضراء كصوت ذي تلقيظ عميق.

نـ. سـ - هل عدم اللسان التقارب بين الأفواه؟ وهل يمكن ان يكون له بالتالي دور توحيدى؟ .
واعتذر لاني كنت تقنياً جداً، ولكن اهتمامي يتركز اكثر على فونولوجيا العربية التي، عمل ما يبدولي، تظهر كلياً ميزات خاصة ومشوقة.

أ. م - لا شك في ان اللسان يخدم التقارب بين الافراد الذين يعيشون معاً ويبتعدون لاسباب شتى، وبالتالي فهذه هي مشكلة التقارب والتبعاد اللغوي. ان الافراد الذين يريدون التواصل، ابتهـا كانوا، يتواصلون، بالافضلية، بواسطة اللسان. والحقيقة ان كان الناس الذين على اتصال فيما بينهم يتكلمون باللسان ذاته او بلسان مختلف، فذلك لن يغير في عمق المشكلة. ذلك انه بعد مرور فترة زمنية محددة سيقوم بهم نوع من الاتفاق الضمني فاما ان يتمتع الطلاقون (أ) اللسان (ب) او يجري العكس ويقوم هناك خليط من لسانين وهو ما ندعوه بالصيـر او اللهـ المزبـع⁽¹⁸⁾ يتيح امام الافراد فرصة التفاهم، وهذا ما حلظناه في بلاد حوض البحر المتوسط.

وعندما تكون هناك حرية للاختيار في لسان معين ما بين طرفيتين للتعبير، فتحن نختار تلك التي تكون مفهومها لنا أكثر من قبل الآخر. ومن المتعارف عليه في لسان معين أن آية حقيقة يعبر عنها بواسطة كلمتين مختلفتين، تمتلك أحدهما فقط استعمالاً شاعرياً.

بينما تعتبر الاخرى بمثابة لفظة عادية. ويحدث العكس في لسان آخر مجاور. وفي نطاق العلاقات التي تم ما بين مستعملين هذين اللسانين، نجد لاستعمال الشكل النادر والشاعري، اذ كما نعلم بان القدرة على فهمها ستصبح بالتالي اكبر. ان مشاكل التقارب والتباين اللغوي الى نصافتها هنا معقدة، وخاصة في الوقت الحاضر. ففيما مضى، كان الناس يلتقطون ويتخاطرون فيما بينهم وعندما يحصل التكيف، اما اليوم، فقد اختفت المواقف: ان الناس لا يلتقطون جسدياً بالضرورة ولكنهم يتمتعون بواسطة وسائل الاعلام. ويمكن للتقارب ان يتم شفوياً بواسطة وسائل الاعلام، وكلياً من خلال المستندات المكتوبة.

اما بالنسبة للعربية، فالملوّف في الاصيل مخالف بعض الشيء: فمن حيث المبدأ لا توجد الا كتابة عربية واحدة. ولما كانت هذه الكتابة توافق مع شكل لساني واحد «غير عكسي» من قبل اي من الناطقين بها، يتقدّم سؤال الى الازدهار: كيف يتسنى للناطقين بالعربية الذين يتلاقون ان يتتفاهموا فيما بينهم؟ او خلال اي شكل من اشكال العربية يمكن ان يتم التواصل بين الناطقين بها؟ على الصعيد الذي يلاقى العرب بواسطة العربية «القرآنية»، ولكن هذا اللسان ليس يقدّر اليوم ان يخدم احتياجات التقنيات المعاصرة اضافة الى الاحتياجات العامة للمجتمع المعاصر. ومن ثم كيف تم الاتصالات ما بين المغاربة واللبنانيين مثلا؟.

ن. س - يمكن للحل ان يكون عبر العربية الكلاسيكية المطورة، العربية الحديثة، اي العربية المستخدمة في وسائل الاعلام اليوم.

ن. س - اما الان فاني احب ان اثير معك مشكلة جد خاصه باللسان العربي، الا وهي الازادوجية اللغوية. ذلك اذنا نفع في لساننا على نوعين لغويين: عربية كلاسيكية حديثة ولهجات عربية. والاثنان مستعملان من قبل نفس الجماعة اللغوية. وهذه المشكلة اثيرت في الحلقة الدراسية التاسعة للآلية الوظيفية⁽¹⁹⁾ من قبل السيد يوسف⁽²⁰⁾ الذي، تكلم ايضا عن الثلاثية اللغوية⁽²¹⁾ باعتبار ان هناك ايضا عربية متوسطة. هل هذا يتوافق مع ما نسميه التراث⁽²²⁾ الديني؟

أ. م - نعم، من الواضح جداً أن كل هذه المشاكل تتعلق بالديناميكية. فهناك اليوم في البلاد العربية ديناميكية لغوية تتجه نحو الوحدة برغم المقاومات

الواضحة التي تلقاها. ولكن ضرورة ايجاد عربية مشتركة متوافقة مع شروط الحياة العالمية المعاصرة هي حاجة ملحوظة وبخاصة من قبل اهل المدن والثقافيين الذين يحتاجون، بحكم ثقافتهم وصلاتهم، الى اقامة علاقات مع المواطنين في بلد عربي آخر. ومن المؤكد ان هذه المسألة لا تطرح ابدا بالنسبة للريفيين.

ان الحاجة الى التقارب تتجلب منذ بعض الوقت فقط في البلاد العربية. ونحن نشهد لها هنا ظاهرة التراكم الدينيميكي. ويجب النظر الى الظاهرة على اهانها ظاهرة تطورية، ومن المؤكد انه اذا توصلنا الى تعميم عربية مشتركة معاصرة، مألفة، مستعملة من طرف لاخر في العالم العربي، سترغب خلال قرون قريبة المشكلة التي عرفتها فرنسا على سبيل المثال. ففي فرنسا، ومنذ قرون عدة تحقققت الوحدة اللغوية الفرنسية، وحوالى نهاية القرن العشرين استطعنا ملاحظة الجهد المبذولة لحركة اللسان الفرنسي والتي عثلت بازالة اللهجات الاقليمية.

هناك ميل اذن الى تكوين لسان عربي واحد متوافق مع الاحتياجات المعاصرة . ولكن عند قيام مثل هذا اللسان العربي الواحد وفي حال عدم تعميمه، فستثار عندها مشكلات الامتداد والتوصيف لهذا الشكل من اللغة. وستكون هذه العربية المشتركة عرضة للتغير من جديد بفعل الاسس العديدة لللهجات. عندها سيتكرر، وبدرجة اقل، هذا الوضع اللغوي الحالي. اما بالنسبة لفهم هذا اللسان، فيمكن ان يتم تأميه من خلال فترة الدراسة، وعندما تظهر مظاهر لثنائية اللغة، اذ سيعمد اشخاص الى التكلم بلسانين: هذه العربية العامة ولسان المحيط المعتمد. ويع垦 القول اتنا في فرنسا نعاني المشكلة نفسها، لأن بعض الاشخاص يتكلمون بلسان ثان: الرومنية⁽²³⁾ او الباسك⁽²⁴⁾ او الجermanية⁽²⁵⁾. فمن الناحية الاجتماعية سيكون هناك وجود للسان مشترك يعلم في المدارس ويستخدم في وسائل الاعلام، وعلى مستوى ادنى، ستكون هناك تشعبات لغوية تستمر بشكل او باخر لفترة زمنية طويلة.

ن. س - هل نستطيع الكلامحقيقة عن ثنائية لغوية فرنسية؟.

أ. م - من المؤكد ان ظاهرة الثنائية موجودة في كل مكان ولكن مع تفاوت في وضوحها وانتشارها. فالمشكلة المطروحة في فرنسا لم تعد مشكلة الثنائية اللغوية التقليدية لأن اللهجات هي في طريق الزوال. ان مشاكل فرنسا المستقبلية ستأتي من الالسن المتعددة فيها وذلك بسبب وجود هذه الاعداد الهامة من المهاجرين فيها. فالولايات المتحدة تعاني منذ قرون مشكلة تعدد الالسن وتحاول سلطاتها المركزية تغليب هذه المشكلة في الوقت الذي تمنع الصوريات اللغوية بعض المواطنين من التعاون فيما بينهم لدعم اقامة مجتمعهم بشكل عام.

وهكذا، كما ترى، فإن ايجاد لسان مشترك او لسان عربي مشترك ليس كل شيء، اذ يجب ان نعرف كيف سيتشتت.

ن. س - انت تقول ان (SILF) «الجمعية الدولية لالاتنية الوظيفية» هي جمعية دولية. في الواقع انت تقتصرن على الفرنسية في هذه المؤسسة. أليس هناك من تناقض في هذا المجال؟.

أ. م - يبدو من خلال طبيعة الاعضاء المتندين الى هذه الجمعية ان اكثراهم يفهمون الفرنسية، ولكن هذا اللسان ليس الوحيد، باي شكل من الاشكال لا نظريا ولا تطبيقيا، صحيح ان SILF قد تأسست في فرنسا ولكنها جمعية دولية، ونحن نعمي التأكيد ذاتيا على طبيعتها الدولية. وحاليا ترى، وفي اجتماعات عديدة تقدمناها الجمعية، ان الانكليزية هي اللسان الاكثر فهماً من قبل اغلب الحضور. ولكن في حالة SILF فان الاعضاء كلهم على علاقة باللسان الفرنسي ، اكان لسانهم الاول، او لسانهم الثاني، او لسانهم الثالث، او لسانهم الرابع. واستعمالنا للفرنسية ليس نتيجة قرار متعدد من قبل المكتب التنفيذي او من قبل جلسة التحرير، بل هو بالاخرى نتيجة مبنية على تجربة لجهات الامور.

ن. س - هل سيكون هناك مجال في نطاق الجمعية لمناقشة مشاكل الالسن غير اوروبية؟.

أ. م - هذا مؤكدا. نحن نأمل ان نستطيع الاجتماع في مصر خلال سنة⁽²⁶⁾ وسيكون عندهما منها جدا ان تدرج مشاكل اللسان العربي في جدول الاعمال واشير هنا الى ان هذه المشاكل يمكنها ان تكون محورا من محاوره. وأأمل ان نصل الى اغتناء كبير لرؤيتنا المتعلقة بالعربية من خلال مشاركة مهمة من قبل الناطقين بها.

لقد اشرفت على ادارة مجلة (Word)⁽²⁷⁾ في الولايات المتحدة، وهذه المجلة است في البدء برعاية الناطقين بالفرنسية. وقد كنت ذاتيا اردد: انه من مصلحتنا ان نبقى على امكانية كتابة مقالات بالفرنسية في هذه المجلة اضافة الى مقالات باللسان اخر. وقد كان هذا الامر مفهوما للدرجة ان مجلة (Language)، مجلة الجمعية الالاتنية الاميركية، نسجت على مونانا ونشرت مقالات بالفرنسية.

وبصورة اخرى فإنه من مصلحتنا كجمعية علمية، وبقصد توسيع جهورنا، ان لا نقتصر على استعمال لسان واحد في نشاطاتنا، بل نتعداد الى السن اخر مختلف يتقبلها الجمهور الذي نخاطب. وهذا امر شبه تلقائي ، فانت تعلم جيدا انه عندما كنت اتكلم كنت أراقب الحضور وكانت اقوال لنفسي : «ترى هل يفهمون؟»، وكانت حين الحظ ان جهوري لا يفهم او بالآخرى يستطيع ان يفهم بشكل افضل لسانا آخر اجده، فقد كنت استبدل بالفرنسية هذا اللسان بشكل عموي. وما حدث في مؤتمر سان اندرؤ (Saint Andrews)⁽²⁸⁾ خير مثال على ذلك، فلقد نقل عن

بانني قد قطعت المناقشة في لحظة معينة (بالفرنسية) عملاً ملها، وبشكل مفاجئ، الانكليزية. وهذا صحيح، وهذا ما افعله حين اجد انه من المستحسن التعبير بواسطتها ولو كان بمقدوري تكلم العربية، لساخت لي فرص اتوقف فيها عن التكلم بالفرنسية او بالانكليزية كي استعملها.

اعتقد انه من المهم ان نفهم جيدا ان اللسان هو وسيلة تواصل، من هنا يجب اختيار اللسان بوعي لامكانية ا يصل ما يريد الى اوسع دائرة ممكنة.

ن. س - لقد أست مدربة اليس كذلك؟.

أ. م - كلما اتيت اوسسها. لم افكر ابداً بتأسيس مدرسة. لقد دأبت على الاهتمام بظواهر اللسان منذ الثامنة من عمري. وهذا هو ما يعني فعلاً في الحياة فيما بعد واتاني الحظ لاثارة انتباه اشخاص، آخرين، حول هذا الموضوع، ولكنني، شخصياً، لم الجا قط الى اية وسيلة ضغط في ذلك.

ن. س - اذا اتيت لك ان تعاود حياتك من جديد، فهل ستتعلق ايضاً بالآلية الوظيفية؟.

أ. م - نعم ويشكل قاطعاً. فانا لا يمكن ان اتصور كيف يمكن لنا ان ندرس او ان نفهم الآلية بمعدل عن الآلية الحقيقة، اي الآلية الالسن، اي بمعدل عن الآلية الوظيفية التي هي برأيي الآلية الالسن. انها ليست الآلية ابسطولوجية، ولا الآلية منطقية، ولا الآلية نفسانية، بل هي الآلية التي تتميز بما هو هام في هذا الميدان: من ان هناك الالسان مختلفة موجودة لانه لا يمكن ان يكون هناك بديل آخر. فلتتصور يوماً انه وجد لسان واحد فرض نفسه في العالم، كالانكليزية مثلاً. فشكل فوري ستلاحظ ظهور اختلافات لغوية هنا وهناك، وقد لا تحدث هذه الاختلافات على مستويات وطنية، ولكن بالتأكيد ستحدث على مستويات فردية او اجتماعية، اذ ان الافراد الذين يعيشون معاً يتلاقون حتى، لغويًا، فإذا افردت اختصاصي حقل ما عن غيرهم، فستجد انه، بعد سنتين، لن يتمكن مؤلاء «الغير» من فهمهم كفاية.

وهناك ايضاً الآلية العائلية، فقد عشت عشر سنوات في الولايات المتحدة، كما، انا وزوجي، تتكلمن الفرنسية مع اطفالنا وفي المنزل، ولكن لساننا الفرنسي تغير ولم يعد «فرنسي» فرنسي، لقد كانت هناك تباينات ترجمتها حرفيًا واخذت اشكالاً انكليزية بحثة وعادية استعملناها ايضاً.

واستنتج من كل ذلك ان المجتمع المنغلق لا بد ان يشهد ظهور تفاوتات لغوية عملية تؤدي الى اختلافات لغوية بالنسبة الى الآخرين. فهناك اذن تقارب يزددي الى تباعد. ولو افترضت وجود لسان واحد فقط في العالم فائق واجد فيه هذه الظاهرة.

ان تباعد الالسن او تقاربه الذي ارتبط سابقاً بالعامل الجغرافي، لا لمحظة ضروريًا في عالم اليوم، حيث ان الاتصالات بين الافراد تتم على العامل الجغرافي ذلك، لتحققت عبر الفضاء، وان شرط هذا التباعد او التقارب ستحتفل نوعاً ما في المستقبل اكبر مما كانت عليه سابقاً.

واختتم قائلاً ان عملية التواصل التي تتحقق في عالم اليوم بواسطة وسائل الاعلام كافة، تطرح حالياً شروط خاصة، ذلك انها لا تتم عن طريق التبادل (اللعنوي) المباشر ما بين الافراد الذي تتحقق، على سبيل المثال، اللغة المنطقية، حيث باستطاعة المرء ان يبرأ، وبشكل فوري، على مخاطبيه، وتقوم عملية التواصل اذذلك على طرفين متساوين. اما في حالة التواصل الحاصل بواسطة وسائل الاعلام، فالامر مختلف، ذلك انها تتحقق بواسطة مرسولات معينة ليس باستطاعتك، كستمع، ان تردد عليها. والامثلة توافر بكثرة في عالمنا المعاصر على هذا النمط من التواصل الذي يتحقق يوماً بهذا الشكل.

جدول بالحواشي الإيضاحية

- * أجريت هذه المقابلة بتاريخ 3 تموز (يوليو) 1984 على هامش الحلقة الدراسية الدولية الخامسة عشر للالسنة الوظيفية التي نظمتها «الجمعية الدولية للالسنة الوظيفية» في جامعة بولونيا بإيطاليا بين 2 - 7 تموز 1984. وهي أول مقابلة بطل من خلالها اندرية ماريتيه على قراءة العربية. وتصدر ضمن كتاب حول الاسلنة الوظيفية.
- 1) أحد ابرز الاساسين المعاصرین، مؤسس النظرية الاسلنية الوظيفية، استاذ شرف في جامعة رينيه ديكارت في باريس. اسس عام 1965 مجلة *La Linguistique* وهو يرأس حالياً لجنة تحريرها. اسس عام 1976 «الجمعية الدولية للالسنة الوظيفية» (SLI) وهي رئيس شرف لها. حائز على عددة أوسسة وجوائز تقدير والقاب فخرية من مختلف الدول والمؤسسات العلمية الدولية. ألف اكثراً من عشرين كتاباً ارتبط بعضها بتاريخ الاسلنة الحديثة وكتب اكثراً من ثلاثين مقالاً ودراسة نقديّة. ترجمت مؤلفاته الى تسعة عشر لساناً منها العربية. (لمزيد من المعلومات راجع مقالاً حول سيرة حياة اندرية ماريتيه).
- 2) يميز ماريتيه في حدثه ما بين مصطلحي *Language Human* وهو ما سترجحه بـ«اللغة الاسلانية» وبين *Langue* وهو ما مستعمل مصطلح «السان» ترجمه. المصطلح الأول - وهو الاكثر عمومية في قاموس اللغوي - يحدد بواسطته «اللغة» بمفهومها المطلق، بمفهومها الانساني العام بال مقابل مع المصطلح الثاني «السان» الذي يعني به اللغة بمفهومها الخاص. من هنا التمييز ما بين «اللغة الاسلانية»، وسائر الاسلن المعروفة كاللسان العربي واللسان الفرنسي الخ....
- 3) استطراداً لللاحظة انساقه، تتجدد اللغة الاسلانية فيحقيقة غير السن متعددة ومتباينة هي الاسلن المستخدمة للتواصل في اطار مختلف المجتمعات المغروفة.
- 4) تعتبر الاسلنة الوظيفية ان «اللغة الاسلانية» وظيفة اساسية تؤديها في المجتمعات البشرية. وتتمثل هذه الوظيفة بالتواصل او التفاهم المتبادل في اطار المجتمع اللغوي الذي يتسمى اليه الناطقون بها.
- 5) علم وظائف الاصوات او الفونيولوجيا هو فرع من علم اللغة. يدرس الفروقات الوظيفية بين الاصوات اللغوية، اي يدرس فوئيمات اللغة بعد كشفها جهة وظيفتها في نظام التواصل اللغوي. انه يتم بالصوت اللغوی في تركيب الكلام نحواً وصرفاً في لسان مخصوص.
- 6) الفوئيم هو اصغر وحدة صوتية وظيفية يمكن بواسطتها التفريق بين المعانٍ في لسان معين.
- 7) المونيم هو اصغر وحدة لغوية معرفة ذات معنى .
- 8) الدال Signifiant هو احد عصري الوحدة اللغوية = الاشارة. انه الكلمة المنطقية او المكتوبة التي تدلّ على الشيء او المفهوم او الشخص خارج اللسان. انه الادراك النفسي للكلمة الصوتية. المنصر الثاني هو المدلول Signifié وهو الفكرة او مجموعة الافكار التي تقترب بالدال.
- 9) صدر عام 1975 عن دار PUF في باريس.
- 10) الرمز / ؟ / يدل على الفوئيم او الكتابة الفونيولوجية.
- 11) المونز (؟) يدل على الصوت او الكتابة الصوتية.
- 12) pharyngalisation، لم اجد ما يقابلها في العربية، فاستفت نقلها الى العربية بالحلقة (نسبة الى الحلقوم) استاداً الى استعمالات د. ابراهيم ابيس في عدد من بحوثه ابتداء من سنة 1970. والحلقة هي ان تتحوّل حرف او بصوت نحو الحلقوم. تشير الى ان د. تغريد السيد عبر في كتابها «دراسات صوتية» الجزء الاول، ص 334، الصادر عن النطعة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة 1980 قد استخدمت مصطلح «الحلقة» المغفرة ذاتها. وبعضهم يميز استعمال «الحلقة» نسبة الى الحلقوم.
- 13) نسخ غضوري يرتبط بحدار اللسان، ويستطيع اللسان ان يضيق عليه ويدفعه الى الاسفل، وبهذا يقلل من حجم غضروف الحلق. يؤثر لسان المزارع بحركته الى الاعلى والاسفل، على تجويف الحلق وعلى الحجرة نفسها. وهو بذلك يؤدي الى تبدل مادة الصوت التي تنتجه عنه.
- 14) الحجرية Glottalisées.
- 15) هو حرف /ك/ يصاحب لفظه مع صوت انسدادي مزماري Occlusive Glottale.
- 16) المتشنغي Chuintante صوت صفير يكون معه مجرى الهواء اكثراً اتساعاً ويتسرّب الهواء متزعاً على جنبات الفم كما عند نطقنا لـ/z/ و /t/.
- 17) هو حرف /ك/ يصاحب لفظه مع صوت انسدادي مزماري Occlusive Glottale.
- 18) الصير او اللغة المزبج هي عبارة عن انظمة لغوية مختزلة الى قواعد تنسيقية و الى مفردات لغوية ذات مجال معمجي محدود. اهنا بثابة لغات تأليفية تتوالد نتيجة احتكاك ما بين مجتمعين او اكثراً من المجتمعات اللغوية المختلفة لا تقوم بينها وسيلة تواصل وخاصة في مجال التعامل التجاري. ومن الامثلة المعروفة: لغة الشيشك المستخدمة كلغة

تجارية في منطقة واسعة من الولايات المتحدة الاميركية، واللغة التجارية المؤلفة من العربية والفرنسية والاسبانية المستخدمة في التعامل التجاري في حوض البحر الابيض المتوسط.

(19) عقدت الحلقة الدراسية الدولية التاسعة للالسنة الوظيفية في مدينة فribourg - ان - بريسغو (المانيا الاتحادية) بين 19 - 24 تموز (يوليو) 1982

(20) عبد الرحيم بوسى، الذي مغربي يدرس مادتي اللاتينية العلامة والإنكليزية في كلية الآداب - جامعة الرباط، عضو «الجمعية الدولية للالسنة الوظيفية»، واحد المشاركين في الحلقة الدراسية المنعقدة في فribourg.

(21) *La Triglossie*، مصطلح استخدمه لحاضره للواقع اللغوي في المغرب الذي يعرف ثلاثة امماط لغوية مختلفة لسان العربي هي: اللغة الكلاسيكية، اللغة المروسطة ولغة التخاطب اليومي او المحكمة المغربية .

(22) *Synchronic*، هو مجموع الظاهرات اللغوية التي تشكل نظاماً معيناً في فترة زمنية محددة من تطور لسان ما معتبر في وظائفه .

(23) الرومية: لسان شعبي مستعمل بالشكليين الشفهي والمكتوب في منطقة الوسط الشرقي من فرنسا بالقرب من الحدود الفرنسية - السويسرية .

(24) الباسك: لسان شعبي يستخدمه سكان منطقة الجنوب الغربي من فرنسا ويشتركون في استخدامه مع سكان الشمال الغربي لاسبانيا . وهو معتمد في شكله الشفهي والمكتوب .

(25) الجرمانية: اللسان الالماني مستخدماً - على شيء من الفوارق وبخاصة على مستوى المفردات اللغوية - من قبل سكان شرق فرنسا وخاصة منطقتي الالزاس واللورين الواقعتين على الحدود الفرنسية - الالمانية .

(26) عقدت الحلقة الدراسية الدولية الثانية عشرة للالسنة الوظيفية في الاسكندرية (مصر) بين 17 - 22 آب (اغسطس) 1985 وشارك فيها مارتبته كعادته .

(27) مجلة تعنى باللاتينية وتصدر في نيويورك تولى مارتبته رئاسة تحريرها .

(28) الحلقة الدراسية الدولية السابعة للالسنة الوظيفية 1980 ، المملكة المتحدة .